

الدرس الثاني و الأربعون

فوائد مستفادة من سورة الإنسان [١]

الفائدة الأولى: ورود الاستفهام في القرآن بما يفيد التقرير.

الفائدة الثانية: إن الإنسان في القرآن قد يراد به آدم عليه السلام ، أو يراد به جنس الإنسان ، أو يراد به الكافر خاصة.

الفائدة الثالثة: أن لفظ الشيء قد يكون أمراً وجودياً أو أمراً عدمياً ، وقد حقق ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - هذه المسألة بكلام محكم ، فقال رحمه الله : (والتحقيق أن المعدوم ليس بشيء في الخارج ولكن الله يعلم ماذا يكون قبل أن يكون ويكتبه وقد يذكره و يخبر به، كقوله: **{ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ }** [سورة الحج: ١]. مع أن الساعة لم تقع بعد ولكن قد علمها وكتبها وسماها شيئاً **{ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ }** فيكون شيئاً في العلم والذكر والكتاب ، علمه وذكره وكتبه ، لا في الخارج ؛ لأنها بعد لم تحقق ، كما قال تعالى: **{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }** [سورة يس: ٨٢].

إذا سماه شيء وهو بعد لم يكن ، لكن هذا شيء ليس في الخارج ، شي في الأذهان، وليس في الأعيان ، وقال تعالى: **{ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا }** [سورة مريم: ٩]. أي: لم تكن شيئاً في الخارج ، وإن

كان شيء في علمه تعالى وهكذا قال الله تعالى في هذه السورة: **{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا}** ^(١).

الفائدة الرابعة: حقارة الإنسان وضعفه وافتقاره إلى خالقه.

الفائدة الخامسة: التنبيه على أصل خلق الإنسان من ماء الرجل وماء المرأة .

الفائدة السادسة: بيان حكمة الخلق وهي الإبتلاء.

الفائدة السابعة: تزويد الإنسان بالآلات والأدوات التي يحصل بها تحقيق الإبتلاء.

الفائدة الثامنة: تكفُّل الله بهداية الدلالة والبيان، وإقامة الحججة الرسالية.

الفائدة التاسعة:

إسناد الأفعال إلى العباد حقيقة من الشكر والكفر.

الفائدة العاشرة: أن النار مخلوقة مُعدَّة لأهلها ، موجودة ، مُضطرمة، يُزاد في

جحيمها وسعيرها.

الفائدة الحادية عشرة: تنوع عذاب أهل النار، وتفنن نعيم أهل الجنة.

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١ / ١١٨).

الفائدة الثانية عشر: المفاضلة بين الأبرار والمقربين في النعيم.

الفائدة الثالثة عشر: أسلوب التضمين، وهو أن يُؤتى بفعل ويُعدى بما لا يتعدى به عادة؛ ليدل على فعل آخر.

الفائدة الرابعة عشر: وجوب الوفاء بالطاعات الواجبة بأصل الشرع، والواجبة بما أوجب العبد على نفسه.

الفائدة الخامسة عشر: وجوب ترك المحرمات خوفاً من الله، واليوم الآخر.

الفائدة السادسة عشر: عظيم شري يوم القيامة، وانتشاره، وامتداده.

الفائدة السابعة عشر: فضيلة إطعام الطعام على حبه، وتعلق النفس به.

الفائدة الثامنة عشر: تحقيق الإخلاص لله عز وجل في الصدقات، والبعد عن طلب الشكر والعوض والمُراءات.

الفائدة التاسعة عشر: تحري أصحاب الحاجات من المساكين، والأيتام، والأسرى ومن على شاكلتهم.

الفائدة العشرين: بيان الباعث على الإخلاص، وهو الخوف من اليوم الآخر.

الفائدة الحادية والعشرون: هول يوم القيامة وضيقه وطوله وشدته، وظهور ذلك في وجوه الكافرين.

الفائدة الثانية والعشرون: . أن الوقاية ، والنجاة من الشرور ، والفوز والنجاة والسرور من الله وحده.

الفائدة الثالثة والعشرون: المقابلة بين حال الشاكر والكفور في الظاهر والباطن.

الفائدة الرابعة والعشرون: حصول الأمن في النفوس والنصرة في الوجوه والسرور في القلوب للمؤمنين.

الفائدة الخامسة والعشرون: أن العمل والصبر سبب لدخول الجنة ونعيمها.

الفائدة السادسة والعشرون: فضيلة الصبر بأنواعه الثلاثة.

الفائدة السابعة والعشرون: قدرة الله على خلق النور دون شمس ولا قمر.

الفائدة الثامنة والعشرون: تشويق المؤمنين إلى النعيم الحسي في الجنة، من مأكول ومشروب وملبوس.

الفائدة التاسعة والعشرون: أن الاتفاق في الأسماء لا يلزم منه الاتفاق في الحقائق والكيفيات.

الفائدة الثلاثون: الموافقة في الأسماء تدل على موافقة في أصل المعنى ودلالته. فحينما يذكر الله سبحانه وتعالى السندس ،فالسندس معروف في الدنيا بأنه حرير فيه رقة، أما الإستبرق فهو حرير فخم لا يتصف بالرقة بل بالفخامة، لا بد أن يكون هذا المعنى موجودًا في ما هو في الجنة في أصل المعنى، فيكون هناك اتفاق فيما عهدوه في أذهانهم ولو أن الله سبحانه وتعالى أغرى المؤمنين بألفاظ ليست معهودة عندهم، ما أحدث عندهم شوقًا وطعمًا، لو أننا مثلاً قلنا في الجنة كذا وكذا ونحتنا لفظًا مركبًا لا يُعرف له معنى لم يبعث ذلك إلى الشوق والتوق إليه فلا بد أن يخاطبهم الله سبحانه وتعالى بأمور معهودة عندهم، فمثلاً حينما يخبر الله أن في الجنة عسل، وماء غير آسن، ولبن لم يتغير طعمه، وخمر لذة للشاربين فلا بد أن يكون في العسل معنى الحلاوة، وهكذا في بقية المذكورات فأصل المعنى لا بد أن يكون مشتركًا، فهذه فائدة مهمة وهي: أن الموافقة في الأسماء تدل على موافقة في أصل المعنى ودلالته، وهذا ينقلنا إلى أعظم من ذلك وأكبر وهو.

الفائدة الحادية والثلاثون: التنبيه بذلك على ما يتضمنه الإثبات في أسماء الله الحسنى لأصل المعنى.

فإذا كان ربنا عز وجل عرفنا بنفسه بأوصاف نعهد مثلها في المخلوقات دل ذلك على أن الاشتراك إنما هو في أصل المعنى، فقط لا في الحقائق والكيفيات.

فسمى الله نفسه سميعًا ، وسمى الله نفسه بصيرًا، فلا سبيل لنا أن ندرك معنى هذه الأوصاف إلا بما نعده في أذهاننا من أن السمع هو إدراك الأصوات، وأن البصر هو إدراك المرئيات، فهذا المعنى المشترك بين الخالق والمخلوق معلوم في الأذهان، لكنّه يتخصص في الأعيان، فإذا أضيف السمع إلى الله فله منه المثل الأعلى، وإذا أضيف السمع إلى المخلوق صار له منه المثل الأدنى، إذا أضيف البصر إلى الله صار له منه المثل الأعلى، وإذا أضيف البصر إلى المخلوق فله منه المثل الأدنى، فلا يمكن أن نفقه وأن نفهم معاني أسماء الله وصفاته إلا بأصل معهود في الأذهان ، وإثبات هذا المعنى، لا يترتب عليه أدنى منقصة ولا شبهة.

وهذه هي محنة المعطلة حيث ظن المعطلة على اختلاف طبقاتهم ، أن إثبات شيء لله مما سمي ووصف به بعض مخلوقاته تمثيلاً، فيبادرون إلى نفيه وإنكاره على تفاوت بينهم، فيقعون في التعطيل. فإذا أخبر الله تعالى أن له وجهاً كريماً، وأن له يدين مبسوطتين بالعطاء والنعم ، وأن له عينين يبصر بهما سبحانه، فيجب أن نثبت ما أثبت الله لنفسه دون تكييف، ولا يلزم في الإثبات أن ندرك الكيفية ، لكن نثبت حقيقة المعنى. وهكذا بقية الصفات كالرضا ، والسخط ، والفرح وغير ذلك، فأصلها معهود في الأذهان لكن يُنزه الله تعالى عن اللوازم البشرية التي فيها ضعف أو نقص أو مماثلة للمخلوقين ويكون له منها المثل الأعلى ، فهذه معانٍ يجب أن

يتدبرها طالب العلم؛ لأنها تزيل عنه إشكالات كثيرة من شبهات المتكلمين، وورطاتهم التي لم يتمكنوا من الخروج منها، وباءوا بشؤمها وردوا بسببها النصوص القرآنية والنبوية .

الفائدة الثانية والثلاثون: روعة التصوير القرآني للنعيم ورقته. حينما تقرأ سورة الإنسان يسرح خيالك، وخاطرك في التفكير في هذا النعيم الراقى الرقيق البهيح، لا يمكن لأي أديب أو شاعر أو كاتب أن يصف منظرًا، وحالًا من الحبور والسرور والبهجة والنظرة والنعمة كما وصف الله تعالى نعيم الجنة، وهو أمر يتذوقه المؤمنون، ولا يملون منه، ولا يشبع منه قارئ القرآن مهما كرر السورة؛ فإن عقله يذهب مذاهب متعددة، وتتفتق له معاني وصور لا حصر لها .